[312] ولقد طالما افتتن بشخصيته الناس ومنهم المستشرقون الذين يتحدثون عنه، على طريقتهم في الإيضاح عن آرائهم، مثل كارادى فو. حيث يتصوره (ذلك البطل المتوجع المتألم. والفارس الصوفى. والإمام ذو الروح العميق القرار، التى يمكن في مكامنها سر العذاب الإلهى). وإذا ذكرت كلمة (الإمام) مطلقة، انصرفت إلى على بن أبى طالب دون سائر الصحابة. ولم يكن النهج العلمي الذى أوجزنا الإشارة إليه، قبل، إلا استعمالا لأصول تهدى إلى معرفة حكم الشرع ودليله، لبلوغ " السعادة في الدنيا والآخرة ". وكان طبيعيا، وقد تضافرت في رسم حدود هذه السعادة، وضوابطها، والعلاقات الهادية إليها نصوص القرآن والسنة. أن يحلى الإمام على في هذا المجال. وأن يتخلف لنا من حياته وسنوات حكمه على قصرها، وانحسار سلطته فيها، مواقف معلمة، ونصوص شارحة، وأن يتتابع في نسقها أعمال الأئمة من بنيه ليتشكل منها " مذهب سياسي واجتماعى واقتصادي " متكامل: فنرى الحسن يضرب مثلا في العطاء وحقن الدماء. ونرى الحسين يضرب مثلا للجهاد في حروب الأمة وللاستشهاد في سبيل الحق. ونرى الأئمة بعدهما يفصلون القواعد للمجتمع العظيم، والدولة المثلى، والأسرة الفاضلة، والإنسان الذى يتغيا الكمال. وكان لزاما، أن تكون بين تعاليمهم تعاليم دستورية واقتصادية واجتماعية. فالإمام على، والأئمة من عقبه، بناة دول، وحماة مجتمعات. ازدهرت فيها الأسرة وصلح بها الرجل والمرأة. واستغنى الناس فيها بكدهم وكدحهم. في الدولة وقواعدها لم يكد أمير المؤمنين يتلقى البيعة حتى أطلق كلماته كالصواعق رجوما للمنحرفين. أو كالبوارق المتألقة بآمال المصلحين. في منهاجه السياسي والاجتماعي والاقتصادي الجامع. المساواة اساس الدولة لقد خطب في اليوم التالى لمبايعته فقال (أما بعد.. ألا لا يقولن رجال منكم